وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتيسر لهم
ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل حصول هذه
الاغراض المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا
منها ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط
في غاية الذم عندهم لان ذلك متعلق باسباب الدنيا وهو بمنزلة
السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها ويبعدها عن
التاثير بالمواعظ والحكم كما قيل إذا ما القلب لم تنفعه
موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر وعند ذلك
تنتعش نفوسهم وتنتفخ اوداجها وتظهر اثار ذلك على
ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من ابنائها
المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون
على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم اشتغلوا عندهم
بانواع من الحيل ولا يبالون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق
والادهان وغير ذلك من الانواع من المحظورات وفنون من الحيل
مع ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او بعضه
حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم بخروجهم
من الحرية الى الاستعباد للاغنياء واستبدلوا بالجهل النافع العلم
النافع وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا
انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه حيث

انزله

انزلهم الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا
لهم تبعا ولعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء
الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا على الناس
انتهى ولله در الشاعر حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب ابن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء
قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون
الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة
في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم
لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذا النون المصري رضي الله عنه
كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها
فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا كان ينفق ماله

Copyright © King Saud University